

من أجل لبنان وسورية

لا أرى الحرب واقعةً من جديد في لبنان .

ستحصل تفجيرات ، وربما اغتيالات (أكتبُ بعد ثلاثة أيام من محاولة اغتيال مروان حمادة) ، وستزداد بالتأكيد بعصبات إسرائيل وأميركا . ولكنني لا أجد قوى أساسيةً داخلية تستطيع أن تمدّ أية حوادث أمنية محتملة بأسباب استمرارها وتفاقمها . لستُ خبيراً إستراتيجياً (والحمد لله) ، ولا أعرف كيف أفرع دربكةً (ناهيكم بطبول الحرب) ، وصوتي ليس جميلاً... ولكنه أفضل من نعيق البوم الذي يبشر بالكارثة (أو يحذرُ منها) صباح مساء .

ومع ذلك فلا شك في أن الاحتقان سيّد الساحة اللبنانية . والسبب الأول ، الظاهرُ على الأقل ، هو التمديدُ لرئيس الجمهورية . فالإخوة السوريون لم يجدوا إلا الرئيس لحد ضمانته للأمن القومي ، وللعلاقات اللبنانية - السورية ، ف«تمنّوا» على أنصارهم من النواب اللبنانيين أن يصوّتوا للتمديد ، وحصلوا عليه... بالطرق الشرعية والبرلمانية . وطُرُف في مجلس الأمن !

ولكن هل كان من الضروري ، من أجل هذا الموضوع غير الاستراتيجي حتماً ، أن نقف اليوم ، نحن في لبنان وسورية ، في مواجهة «العالم» - بصيغته الشوهاء المعولة الحالية ؟ وأين الحكمة في ذلك ، ما دام لبنان يعجّ بأنصار «وحدة المسار والمصير» بين لبنان وسورية ، وبينهم (سبحان الله !) من كان في الأمس القريب متحالفاً مع إسرائيل ؟

أما بشأن وجود القوات السورية في لبنان ، فأهلاً وسهلاً بها (وبالقوات المصرية والتونسية والهندية والدانمركية...) في بيتي (إذا وافقت عائلتي) ، وعلى سطح بنايتنا (إذا وافق الجيران) ، إن كان ذلك في مصلحة المواجهة مع العدو الصهيوني . وأهلاً وسهلاً بها في أي موقع استراتيجي لبناني (آخر !) يحدّده البلدان . ولتتوثق العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية . ولكن هذا كله لا يكفله - بالضرورة - عشرات آلاف الإخوة من الجنود السوريين (نعم ، هم إخوة ورفاق سلاح) في كل مكان من لبنان . ولا تضمّنه ، بالطبع ، هذه الجحافل من الزعامات اللبنانية الفاسدة ، النّهابة ، القليلة الحياء ، الطائفية ، المذهبية ، المدعومة من بعض السوريين والعرب ، والتي لن تتورّع عن نقل البندقية من الكتف اليسرى العربية إلى الكتف اليمنى الأميركية خدمة لمصالحها الأنانية .

هناك خلطٌ كثيرٌ في الساحة اللبنانية والعربية والعالمية في هذا الموضوع . هناك من يهاجم سورية لأنها تتحدّث عن الوحدة العربية ، ولأنها تقدّم دعماً لحزب الله وبعض فصائل المقاومة الفلسطينية ، ولأنها تغضّ النظر (أحياناً) عن المناضلين السوريين المتسلّين لمقاومة الاحتلال الأميركي للعراق . ولكن هناك من يعترض على سياساتها في لبنان لأن السلطات السورية مازالت من حيث المبدأ ترفض السياسة الأميركية ، ومازالت ترفض التطبيع مع العدو الإسرائيلي ، ومازالت تنادي بالوحدة العربية ، ولأنه لا حياة للعرب أصلاً في خضمّ التكتلات العالمية الكبرى المتربّصة بنا إلا بالوحدة... الديمقراطية والطوعية طبعاً .

إن الخيار هو خيار القيادة السورية أولاً وأخيراً ، مدفوعة بمبادرات شعبية وطنية سورية ولبنانية على طريق التحالف الوثيق ، الطوعي والحرّ . فيما أن تواصل سياستها اللبنانية التي يستفيد منها - أكثر من يستفيد - الفاسدون والطائفون ؛ وإما أن تحزّم أمرها وتخطّ نهجاً جديداً يقوّي منعة لبنان وسورية معاً ، ويشكّل نموذجاً مصغراً للعلاقة المثلى بين أيّ بلدين عربيين متجاورين .